

الأخ الضريح قفة

بقلم: ١. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم: ١. اسماعيل دياب
إشراف: ١. حمدي مصطفى



تابع الخياط المتهم بقتل مهرج ملك الصين الأحدب ،
حكاية حلاق (بغداد) فقال :

- لما علم الخليفة أن حلاق (بغداد) له ستة إخوة ،
وأن كلاً منهم قد صار بعاهة مختلفة عن الآخرين ، نتيجة
فضوله وثرثرته وكثرة كلامه ، طلب منه أن يحكي له
حكاية كل واحد منهم ..

فنظر حلاق (بغداد) إلى الخليفة وقال :

- أما أخي الأعرج (جرجر) وأخي الأحول (بقبق)
فأرجوك يا مولاي أن تعفيني من ذكر حكاية كل منهما ،
لأن حكاية الأول مخجلة ، وحكاية الثاني مخزية ، واسمح
لي يا مولاي أن أبدأ بحكاية أخي الضرير (قفة) لأنها
حكاية مسلية ، وفيها العجب ..

فقال الخليفة :

- قد سمحت لك فاحك ، وشنف سمعي بحكاية أخيك

الضرير (قفة) ..

فقال حلاق (بغداد) :



- إن أخى الضَّرِيرَ (قَفَّة) قد فَقَدَ بَصَرَهُ على كِبَرٍ ، وكان ذلك فى إحدى مُغَامراتِهِ الفُضُولِيَّةِ الثَّرثَارِيَّةِ الشَّيْطَانِيَّةِ ، ولذلك فَقَدَ عَمَلَ شَحَاذًا ، وأَخَذَ يَتَسَوَّلُ النَّاسَ ..

وكانَ لَهُ رَفِيقَانِ ضَرِيرَانِ مُتَسَوِّلَانِ مِثْلَهُ ، فيَقْضَى كُلُّ مِنْهُمُ النَّهَارَ مُتَسَوِّلًا فى حَيٍّ مِنْ أَحيَاءِ (بَغْدَاد) وَعِنْدَ حُلُولِ الْمَسَاءِ يَجْتَمِعُونَ فى دارِ لَهُمْ ، حيثُ يَأْكُلُونَ ، وَيَعْدُونَ حَصِيلَةَ اليَوْمِ مِنَ التَّسَوُّلِ ، فيَدْفِنُونَهَا فى رُكْنٍ بِالْبَيْتِ ، وهَكَذَا حتى جَمَعُوا ثَرَوَةً مِنَ التَّسَوُّلِ ..

و ذات يوم ساق أخى الضرير هذا قضاؤه وقدره إلى دار
كبيرة ، فدق باب الدار طمعا في أن يتعطف عليه صاحب
الدار بصدقة ، وظل أخى يطرق الباب ، فسمع صاحب الدار
من الداخل يقول : من بالباب ؟


فلم يرد عليه أخى ، ويخبره أنه شحاذ ، خشية أن
يصرفه الرجل ، دون أن يفتح له الباب أو يعطيه شيئا ..
وفتح صاحب الدار الباب ، على مضض - فلما رأى أخى
واقفا بالباب بادره بقوله : هل أنت ضرير ؟ !

فقال له أخى : نعم ..

فقال صاحب الدار : ناولنى يدك يا أخى ..

فناول له أخى يده ، فقاده الرجل وأدخله الدار ، ثم أخذ
يصعد به سلما مرتفعا ، بدا لأخى ، وكأن لا نهاية له ،
حتى تقطعت أنفاسه ، لكنه لم يعبا بذلك ، لأنه كان يمنى
نفسه بعتاء سخي من صاحب الدار ، بعد هذا العناء فى
صعود السلم ..

أخيرا وصل صاحب الدار بأخى إلى سطح الدار ، فوقف



قائلاً لأخى : الآن ماذا تريدُ أيُّها
الضَّرِيرُ ؟ !

فقال أخى : أنا رجلٌ فقيرٌ ، وأريدُ
أَنْ تُعْطِيَنِي مِمَّا أَعْطَاكَ اللَّهُ ..

فقال صاحبُ الدَّارِ : يَفْتَحُ اللَّهُ
عَلَيْكَ ، وَيَرْزُقُكَ مِنْ غَيْرِي ..
فاغْتَظَ أَخِي بِشِدَّةٍ وَقَالَ لَهُ :

يا هَذَا ، أَلَمْ يَكُنْ لَكَ لِسَانٌ حَتَّى تَقُولَ لِي هَذَا

الْكَلَامَ ، وَنَحْنُ فِي أَسْفَلِ الْبَيْتِ ؟ !

فقال صاحبُ الدَّارِ : وَأَنْتَ يَا أَسْفَلَ السُّفْلَةِ ، أَلَمْ يَكُنْ
لَكَ لِسَانٌ ، حَتَّى تَسْأَلَنِي مَا تَرِيدُهُ ، حِينَ سَأَلْتُكَ ، مَنْ

الطَّارِقُ ؟ !

فَقَالَ أَخِي : وَالْآنَ مَاذَا تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِي ؟ !
فَقَالَ صَاحِبُ الدَّارِ : لَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيكَ إِيَّاهُ ..
فَقَالَ أَخِي : انْزِلْ بِي السَّلَامَ ، حَتَّى تُعِيدَنِي خَارِجَ
الْبَيْتِ ..

فَقَالَ صَاحِبُ الدَّارِ : أَمَامَكَ السَّلَامُ ، فَانْزِلْ كَمَا
يَحُلُّو لَكَ ..

وَأَضَافَ الْحَلَّاقُ قَائِلًا لِلْخَلِيفَةِ :

- وَهَكَذَا أَوْقَعَ الْحَظُّ الْعَاثِرُ أَخِي الضَّرِيرَ فِي يَدِ ذَلِكَ
الرَّجُلِ اللَّئِيمِ ، الَّذِي تَرَكَهُ يَنْزِلُ السَّلَامَ وَحْدَهُ ..
وَهَكَذَا بَدَأَ أَخِي يَنْزِلُ السَّلَامَ مُتَحَسِّسًا طَرِيقَهُ بِصُعُوبَةٍ ،
حَتَّى صَارَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ عَشْرُونَ دَرَجَةً ، فَتَعَثَّرَتْ قَدَمُهُ ،
وَاخْتَلَّ تَوَازُنُهُ ، فَسَقَطَ عَلَى السَّلَامِ ، وَأَخَذَ يَنْحَدِرُ مِنْ
دَرَجَةٍ إِلَى دَرَجَةٍ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَشَجَّ رَأْسَهُ ،
وَأَصِيبَ بَعْدَةَ جُرُوحٍ ، فَخَرَجَ مِنَ الدَّارِ ، وَهُوَ لَا يَكَادُ
يَصْدُقُ أَنَّهُ نَجَا بِحَيَاتِهِ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْطَانِ الْمَاكِرِ ، الَّذِي
أَوْقَعَهُ فِيهِ حَظُّهُ الْعَاثِرُ ..



سار أخى مُتَخَبِّطاً فى شوارع (بغداد) باحثاً عن رفيقيه
الضريرين ، وراح صاحب الدار يتبعه عن قُرب ، ليعرف ماذا
سيفعل ، كلُّ هذا وأخى لا يشعر به ..

أخيراً التقى أخى برفيقيه الضريرين ، فحدثهم بما وقع له مع
صاحب الدار ، وقال لهم :

أريد أن نذهب إلى دارنا فى هذه الساعة ، حتى آخذ شيئاً من
الدراهم التى ادخرناها ، لأنفق منه على نفسى ، حتى تشفى
جروحي ..

فقالوا له : هيا بنا إلى الدار لنُخرج الدراهم من مخبئها ..
وهكذا سار العميان الثلاثة إلى دارهم ، وهم لا يدرون أنَّ
ذلك الرجل اللئيم - الذى تسبب لأخى فى كل هذه الآلام -
يتبعهم عن قرب ..

دخل العميان الثلاثة دارهم ، ودخل معهم ذلك الرجل ،
وهم لا يشعرون به .. وقال أخى لرفيقه : أغلقوا وفتشوا
الدار جيدا ، خشية أن يكون أحد قد تبعنا ، ونحن لا ندري ..
فلما سمع الرجل ذلك تعلق بحبل كان مدلى من السقف ،
وظل ساكنا ، حتى انتهوا من تفتيش البيت ، واطمأنوا إلى
عدم وجود غريب بينهم ..

واستمر حلاق (بغداد) فى سرد حكاية أخيه (قفة)
للخليفة قائلاً :

وهكذا توجه أخى ورفيقاه الضريان إلى المكان الذى
يخبئون فيه الدراهم ، فحفروا الأرض وأخرجوها ، ثم
أخذوا يعدونها حتى أكملوا عشرة آلاف درهم ، فوضعوها
فى كيس وقال أخى :



نَدْفَنُ الْعَشْرَةَ آلَافِ دَرْهَمٍ ، وَنَأْخُذُ مَا زَادَ عَنْهَا ، لِنَنْفِقَ مِنْهُ ..
فَوَافِقُهُ الْآخِرَانِ ..

وَهَكَذَا دَفَنُوا الْعَشْرَةَ آلَافِ دَرْهَمٍ ، وَاقْتَسَمُوا مَا زَادَ عَنْهَا فِيمَا
بَيْنَهُمْ .. كُلُّ هَذَا وَالرَّجُلُ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ..

ثُمَّ أَحْضَرُوا طَعَامًا كَانَ لَدَيْهِمْ وَجَلَسُوا يَأْكُلُونَ ..

وَنَزَلَ الرَّجُلُ مِنْ مَخْبِئِهِ ، لِيَأْكُلَ مَعَهُمْ ، فَأَحْسَبُهُ أَخِي ، فَمَدَّ
يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ خُلْسَةً ، وَصَاحَ بِرَفِيقِيهِ : هَذَا غَرِيبٌ وَقَدْ
أَمْسَكْتُ بِهِ ..

فأنهال الضَّريَّانِ على الرَّجُلِ ضَرْبًا ، حتَّى كَادُوا يَقْتُلُونَهُ ،
والرَّجُلُ لَا يَسْتَطِيعُ مِنْهُمْ فِكَاكًا ..

ثم أَخَذَ الْعَمِيَّانِ الثَّلَاثَةَ يَتَصَايَحُونَ وَيَصْرُخُونَ طَالِبِينَ
النَّجْدَةَ مِنَ الْجِيرَانِ وَالْمَارَّةِ فِي الشَّوَارِعِ .. فَتَجَمَّعَ النَّاسُ
يَسْأَلُونَ عَمَّا أَلَمَ بِالْعَمِيَّانِ الثَّلَاثَةَ ..

فَقَالَ أَخِي : هَذَا اللَّصُّ هَجَمَ عَلَيْنَا ، يَرِيدُ قَتْلَنَا وَسَرْقَةَ
أَمْوَالِنَا ، فَأَنْقِذُونَا مِنْهُ ..

فَلَمَّا رَأَى الرَّجُلُ أَنَّ النَّاسَ قَدْ يَقْتُلُونَهُ ، أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ ،
فَصَارَ كَأَنَّهُ أَعْمَى مِثْلَهُمْ ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :

لَا تَصَدِّقُوهُمْ ، فَأَنَا أَعْمَى مِثْلَهُمْ ، وَلَسْتُ لَصًّا كَمَا يَزْعُمُ
هَؤُلَاءِ الْمَاكِرُونَ .. أَنَا شَحَّاذٌ مِثْلَهُمْ وَيُرِيدُونَ أَكْلَ حَقِّي ..

فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ ، وَاسْتَمَرَّ الرَّجُلُ عَلَى تَعَامِيهِ ، ثُمَّ
صَرَخَ قَائِلًا :

عِنْدِي كَلَامٌ خَطِيرٌ لِّوَالِي (بَغْدَادَ) وَلَا بُدَّ أَنْ أَبْلُغَ لَهُ بِهِ ،
وإِلَّا حَدَثَتْ مُصِيبَةٌ .. أَرْجُو كُمْ خُذُونِي لِلِّوَالِي لِأُنْصِرَ ضَرِيرٌ
وَلَا أَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ وَحْدِي ..

وَلَمْ يَكِدِ الرَّجُلُ يَكْمِلُ كَلَامَهُ ، حَتَّى ظَهَرَ بَعْضُ رِجَالِ



الشُّرْطَةُ ، فلما سَمِعُوا كَلَامَهُ أَحَاطُوا بِهِ ، وَأَخَذُوهُ هُوَ وَأَخِي
وَرَفِيقِيهِ إِلَى وَالِي (بَغْدَاد) .. فلما رَأَاهُمُ الْوَالِي قَالَ لَهُمْ :

مَا هِيَ حِكَايَتُكُمْ ؟ !

فَقَالَ الرَّجُلُ وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ فِي تَعَامِيهِ وَإِغْمَاضِ عَيْنَيْهِ :
أَرْجُو كَأَيْهَا الْوَالِي أَنْ تَسْمَعَ كَلَامِي وَتُعَاقِبَنَا بِالضَّرْبِ الْمُبْرَحِ ،
لَأَنَّ حَقِيقَةَ حَالِنَا لَنْ تَظْهَرَ لَكَ إِلَّا بِضَرْبِنَا ضَرْبًا شَدِيدًا ، وَإِنْ أَرَدْتَ
فَأَبْدَأْ بِضَرْبِي أَنَا قَبْلَ رِفَاقِي ، حَتَّى لَا يَظُنُّوا بِي الْأُنَانِيَةَ ..

فقال الوالى للجلادين :

اطرحوا هذا الرجل أرضاً ، واضربوه بالسياط ، حتى نعرف حقيقة ما يخبئونه عنا ..

فطرح الجلادون الرجل أرضاً ، وانهالوا عليه ضرباً بالسياط ، حتى أوجعه الضرب ففتح إحدى عينيه ، فلما اشتد عليه الضرب فتح عينه الأخرى .. فتعجب الوالى وقال له :

ما هذه الفعال يا رجل ؟! تدعى العمى وأنت مبصر ؟!

فقال له الرجل : أعطني الأمان ، وأنا أبوح لك بحقيقتنا نحن الأربعة ..

فقال له الوالى :

قد أمنتك ، فتكلم ..

فقال الرجل :

نحن أربعة - كما ترى أيها الوالى - كلنا مبصرون ، لكننا ندعى العمى ، فنمر على البيوت ندخلها ، ونحتال فى التسول ، ورؤية أسرار البيوت ، والناس يشفقون علينا ، ويظنوننا عميانا .. وقد جمعنا من ذلك ثروة وهى عشرة آلاف درهم ، فقلت لرفاقي هؤلاء : أريد حقى من هذه الثروة ، وهو ألفان وخمسمائة درهم ، فضربوني ورفضوا إعطائى درهماً



واحدًا، ولهذا فأنا جئت هنا
مستجيرًا بك أيها الوالي ، وأنا مُستعدُّ
أَنْ أتنازلَ عَنْ نصيبِي فِي الْمَالِ لَكَ ..
الْمُهْمُ أَنْ تَحْمِيَنِي مِنْهُمْ .. وَإِذَا أَرَدْتَ
أَنْ تَعْرِفَ صَدَقَ كَلَامِي ، فَافْعَلْ مَعَهُمْ ،
كَمَا فَعَلْتَ مَعِيَ أَيُّهَا الْوَالِي .. مَرَّ بِجُلْدِهِمْ وَسَوْفَ
يَفْتَحُونَ أَعْيُنَهُمْ ، وَلَكِنْ حَذَارِ أَنْ يَخْدَعُوكَ بَعْدَ أَنْ سَمِعُوا
مَا قُلْتَهُ لَكَ ، وَعَلِمُوا أَنَّي كَشَفْتُ حَقِيقَتَهُمْ ..

فضحك الوالى وقال :

لَنْ يَسْتَطِيعُوا خِدَاعِي .. اجلدوهم حتى يفتحوا أعينهم
ويعترفوا بنعمة الله عليهم ..

انهال الجلادون ضرباً على أخى ورفيقه ، حتى كادوا
يقتلونهم ، وبالطبع لم يفتحوا أعينهم لأنهم كانوا عميانا ..
فقال الوالى :

أيها الماكرون الفاسقون ، تجحدون نعمة الله عليكم ،
وتدعون أنكم عميان ، وأنتم مبصرون ..

وأمر باستمرار ضربهم بالسياط ، حتى ألمهم الضرب
المبرح ، فصاح أخى : والله ما فينا أحد مبصر ..

ولكن من يصدق هؤلاء البؤساء ، بعد أن تعرضوا لغضب
الوالى ، ووقعوا فى قبضة الجلادين ..

وهكذا استمر الضرب ينهال على أخى المسكين ، حتى
أغمى عليه هو ورفيقه ، فقال الوالى :

دعوهم حتى يفيقوا ، ثم استمروا فى ضربهم ..

فلما أفاقوا انهالوا عليهم ، وذلك الرجل الماكر يقول :

افتحوا أعينكم ، وإلا أقتلوكم ضرباً ..



ثم قال الرجل للوالى :
ابعث معى من يأتيك بالمال ، لأننى
أخشى ألا يفتح هؤلاء الماكرون أعينهم ،
خوفاً من الفضيحة بين الناس ..

فأرسل الوالى بعض العسكر مع ذلك الرجل إلى دار أخى
ورفيقيه ، فأحضروا العشرة آلاف درهم .. فأعطاه ألفين
وخمسمائة درهم ، واحتفظ بباقى المال فى خزانة بيت المال ..

وهكذا ضُربَ أخى حتى كادَ أن يموتَ ، ونُفِيَ عن المَدِينَةِ
بأمرِ الوالى ، وحرِمَ دَراهمه ..

فلما عَلِمْتُ ما حَدَثَ لأخى أَيُّهَا الخَلِيفَةُ ، احْتَلْتُ ،
حَتَّى تَمَكَّنْتُ مِنْ إِدْخَالِهِ (بَغْدَادَ) لَيْلاً ، وَأَخَذْتُهُ إِلَى بَيْتِى
فَعَالَجْتُهُ ، وَأَطْعَمْتُهُ حَتَّى شَفَى ..

فلما سَمِعَ الخَلِيفَةُ قِصَّةَ (قُفَّة) الأَعْمَى مِنْ أَخِيهِ حَلَّاقٍ
(بَغْدَادَ) ضَحِكَ فِي مَرَحٍ وَقَالَ :

- يَا لَكَ مِنْ أَحْمَقَ تَرْتَارٍ ، أَنْتَ وَإِخْوَتِكَ ..

وَأَمَرَ لَهُ بِنُقُودٍ ، حَتَّى يَنْصَرِفَ وَيَسْتَرِيحَ مِنْ ثَرَثَرَتِهِ ، فَصَاحَ
حَلَّاقُ (بَغْدَادَ) :

- وَاللَّهِ لَنْ أَتَحَرَّكَ مِنْ هُنَا حَتَّى تَسْمَعَ بَقِيَّةَ قِصَصِ رِفَاقِى ،
فَرُبَّمَا زِدَّتْ لِي الْعَطَاءَ ..

(يَتْبَع)